خطبة صلاة الجمعة 28/ 1/ 2022 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(محبة الآخرين عند النبي ﷺ وكيف نتحلى به)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21]. وقال سبحانه مخاطباً نبيه محمداً ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4].

أخرج الإمام الترمذي عن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكم إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِني مَجْلِساً يَوْمَ القِيَامَةِ: أَحَاسِنَكُم أخلاقاً**».

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول اللهِ ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ**» وفي رواية البزار «**مكارم الأخلاق**».

هذه الخطبة السابعة عشرة في سلسلة من الخطب تناسب الزمان والاحتياج عنوانها: (أخلاق النبي ﷺ، وكيف نتحلّى بها).

وعنوان خطبة اليوم:

محبة الآخرين عند النبي ﷺ وكيف نتحلى به

أيها الإخوة:

سبقَ أنّ الخُلُق هو اسم لصورة الإنسان الباطنة، كما أنّ الخِلْقة اسم لصورته الظاهرة. (لسان العرب).

والأخلاقُ تكون فطرية وتكون مكتسبة، فمن فطره الله على خُلق حسن فليحمد الله، ومن لم يجده في نفسه فليتدرب على اكتسابه، وهذا الواجب العملي الأهم على مستمع هذه السلسلة.

أيها الإخوة:

محبةُ الآخرين واحدٌ من أصولِ الأخلاق التي ترجع إليها كثيرٌ من الفضائل الحسنة والخلال الحميدة والأخلاق العالية، كما هو الحال في حبّ العطاء السابق في الخطبة الماضية.

فالتعاون والإيثار والنصح والبر والمشاركة في السّراء والضراء ونحوها مكارمُ أخلاق، منبعها محبةُ الآخرين.

الحسد والبغضاء والغيبة والظلم والإضرار والأثرة ونحوها مساوئ أخلاق، منبعها حبّ الذات وكراهية الآخرين.

«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين».

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسِن إلى جاره».

«والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنةَ حتى تؤمنوا ولا تؤمنون حتى تحابوا».

«ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب الرجل لا يحبه إلا لله».

«رجلان تحابّا في الله اجتمعا عليه وافترقا عليه».

هذه أحاديث سيدنا محمد ﷺ، حفظناها في عشرات ومئات غيرِها وانغرست في أعماقنا تدرّبنا على محبة الآخرين، وتعلّمنا كيف يحب بعضنا بعضاً، وتحثنا على الحب في الله، حبٍ مجرد عن المصلحة المادية أو المعنوية.

إنها محبة الآخرين، خلق وفضيلة تنبعث منها فضائل جمة وتتناثر منها أخلاق حسان.

وإذا كان حديث اليوم عن محبة الآخرين عند النبي ﷺ وكيف نتحلى به، فإليكم هذه المواقف من السنة المطهرة.

1-أخرج الطبراني في المعجم الكبير وغيره عن سالم أبي النضر، قال: "دخل رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون وهو يموت، فأمر رسول الله ﷺ بثوب، فسجي عليه وكان عثمان نازلا على امرأة

من الأنصار يقال لها أم معاذ، قال: فمكث رسول الله ﷺ مكثاً طويلاً عليه وأصحابه معه، ثم تنحى رسول الله ﷺ فبكى، فلما بكى بكى أهل البيت، فقال: «رحمك الله أبا السائب» قال: فتقول أم معاذ: هنيئا لك أبا سائب الجنة، فقال النبي ﷺ: «وما يدريك يا أم معاذ؟» ، أما هو فقد جاءه اليقين، ولا نعلم إلا خيرا، «رحمك الله يا عثمان، ما أصبت من الدنيا ولا أصابت منك» قالت: لا والله لا أقولها لأحدٍ بعده أبدا.

هذه صورة من صور محبة النبي ﷺ لأصحابه وبكائه لفراقهم ووداعهم الدنيا.

2- وأخرج الإمام البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما غرتُ على أحدٍ من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة قط، وما رأيتها قط، ولكن كان يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة، ثم يُقَطِّعُها أعضاءَ، ثم يبعثها في صدائق خديجة، وربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة، فيقول: إنها كانت، وكانت، وكان لي منها ولد.

وفي رواية عند الإمام أحمد قال: آمنتْ بي إذ كفر بي الناس، وصدّقتني إذ كذّبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء، قالت: «وتزوجني بعدها بثلاث سنين، وأمره ربه عز وجل: أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب».

إنها صورة من صور حب النبي ﷺ لأهل بيته في حياتهم والوفاء معهم بعد مماتهم.

3- أخرجت كتب التراجم والسير أن زيد بن حارثة الكلبي، كان في سفر مع أمه، وهو طفل صغير، فأغار عليهما جماعة من الأعراب، فأسرّوا زيداً وباعوه، فاشتراه حكيم بن حزام فأهداه إلى عمته السيدة خديجة بعد زواجها من النبي بقليل، فاستوهبه النبي من زوجه خديجة، فوهبته له، فرعاه النبي وأحسن إليه غاية الإحسان.

فلما علم أبو زيد به حضر وبعضُ أهله إلى مكة، وعرضوا على النبي ما يريد من الفداء، فقال النبي ﷺ: «فهلا غيرَ ذلك»؟ قالوا: وما هو؟ قال: «خيّروه، فإن اختاركم فهو لكم دون فداء، وإن اختاري فدعوه»، فخيروه فاختار النبي!! فجذبه عمه وقال له: يا زيد اخترت العبودية على أبيك وعمك؟! فقال: إي والله العبودية عند محمد أحبّ إلي من أن أكون عندكم!!

فقال النبي ﷺ عند ذلك: «يا معشر قريش، اشهدوا أن زيدا ابني يرثني وأرثه» وطاف على حِلَق قريش يشهدهم على ذلك، فرضي أهله وانصرفوا، ومن ذلك الوقت أصبح يقال له زيد بن محمد حتى أبطل الإسلام التبني، وأمر أن ينسبوا إلى آبائهم فصار يسمّى زيد بن حارثة.

وكان يُلقَّب بين الصحابة بحبِّ رسول الله ﷺ، وقد استشهد زيدٌ في مؤتة فنعاه رسول الله ﷺ وإن عينيه لتذرفان.

إنها صورة من صور حب النبي ﷺ لأصحابه.

والحاصل أنّ حبّ الآخرين خُلُقُ النبي ﷺ، وهو معروف به، والمتوقع أن يكون خلقَك، وأن تكون معروفاً به.

ذكر لنا الشيوخ أن عالماً من علماء هذه البلدة مرضت زوجته مرضاً أقعدها الفراش سنوات، فاعتذر زوجها الشيخ عن دروسه ومحاضراته معتكفاً على خدمتها ورعايتها، ماعدا خروجه للجُمَع والجماعات، ودرسٍ واحدٍ بين المغرب والعشاء.

فلما توفاها الله، وجاء المعزون الشيخَ، أوحى قائل منهم: أن الحمد لله الذي خفف عن الشيخ أثقاله، فما كان من الشيخ إلا أن دمعت عينه وقال: والله يا ولدي كنت أتمنى بقاءها لأخدمها حياتي كلَّها.

إنه خلق محبة الآخرين تنبعث منه فضائل جمة وتتناثر منه أخلاق حسان.

وفي الأسبوع الماضي توفى الله زوجة أحد شيوخ نابلس فلما وقف للصلاة عليها قال: كنت دائماً أدعو الله ألا يفجعني بحبيب ولكن لم أكن أتصور أن أُفْجَع كما فُجِعْت اليوم وأن أفارق قطعة من قلبي كما فارقت اليوم ولكن لا أقول إلا ما يرضي ربنا "إنا لله وإنا إليه راجعون" وبكى الشيخ وأبكى الحاضرين

إنه خلق محبة الآخرين تنبعث منه فضائل جمة وتتناثر منه أخلاق حسان.

حدثنا شيخنا الشيخ أحمد كفتارو رحمه الله تعالى أنه كان مسافراً لأول مرة إلى الصين للمشاركة في مؤتمر، وبينما كان بعمامته عائداً من مكان المحاضرة إلى الفندق ماشياً واجهه رجل صيني كبير السن، وقال له بلُغَةِ المستفهم: الله أكبر؟ – أي هل أنت مسلم– ففهم الشيخ المراد وأجابه مؤكداً: الله أكبر.

هنا عانق الصيني الشيخ وضمه إليه قائلاً: إنما المؤمنون إخوة، وبكى الرجلان.

إنه خلق محبة الآخرين تنبعث منه فضائل جمة وتتناثر منه أخلاق حسان.

استأذن معاويةُ بن أبي سفيان رضي الله عنه والي دمشق أميرَ المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في غزو بلاد الروم بحراً، فسأل عمرُ عمرَو بن العاص عن البحر: أن صف لي البحر فكتب له يقول:

يا أمير المؤمنين، إني رأيت البحر خَلقاً كبيراً يركبه خلق صغير، ليس إلا السماء والماء، إن ركد أحزن القلوب، وإن ثار أزاغ العقول، الناس فيه كدودٍ على عود، الداخل فيه مفقود، والخارج منه مولود، إن مال غَرِق، وإن نجا بَرِق- يعني: فَزِع مبهوتاً -، فكتب عمر إلى معاوية: (لا والذي بعث محمداً بالحق، لا أحمل فيه مسلماً أبداً، وتالله لمسلمٌ واحد أحبُّ إلي مما حَوَتِ الروم، فإياك أن تعرِّض مسلماً للهلاك وقد تقدمت إليك - يعني بالأمر – والسلام).

إنه خلق محبة الآخرين تنبعث منه فضائل جمة وتتناثر منه أخلاق حسان.

أيها الإخوة:

في ختام الخطبة كيف تنمي خُلق محبة الآخرين نفسك؟

ثلاثة تعينك على ذلك كثرة ذكر الله وبذل الخدمة للآخرين وعونهم والفرح لفرحهم والحزن لحزنهم.

1 – الإكثار من ذكر الله: لأنّ مَن أكثرَ من ذكرِ شيءٍ أحبَّه، فإذا امتلأ قلبُك حباً لله فاض على العباد محبة، وإذا عمَّر الله بالذكر قلبك أطلق بالخير جوارحك.

2– خدمة الآخرين ومعونتهم: قال رسول الله ﷺ: **«أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»** [مسلم]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: **«تَهَادُوا تَحَابُّوا»** [البخاري في الأدب المفرد]، وقال صلى الله عيه وسلم: **«تهادوا، فإنَّ الهدية تُذهِب وَحَرَ الصَّدر»** [الترمذي]، يعني: غيظ الصَّدر.

ويدخل في خدمة الآخرين ومعونتهم بر الوالدين وصلة الأرحام، والإحسان إلى الجوار وأداء الزكاة والصدقات.

3– الفرح لفرحهم والحزن لحزنهم: بمشاركتهم أفراحَهم وأتراحَهم، ومن هنا –والله أعلم – شرع الإسلام زيارة المريض وتعزية المصاب، وإجابة الداعي، وتهنئة العائد من سفر.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «**حقُّ المسلم على المسلم سِتّ**»، قيل: ما هنَّ يا رسولَ الله؟ قال: «**إذا لقيتَه فسلِّمْ عليه، وإذا دَعَاكَ فأَجِبْهُ، وإذَا استنصحَكَ فانْصَحْ له، وإذا عَطَسَ فَحمِدَ الله فشَمِّتْه، وإذا مرضَ فعُدْه، وإذَا ماتَ فاتْبَعْهُ**» [مسلم].

إذاً هي ثلاثة تعينك على محبة الآخرين: كثرة ذكر الله وبذل الخدمة للآخرين وعونهم والفرح لفرحهم والحزن لحزنهم.

أيها الإخوة: أكثروا من الصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ فإنه من صلى عليه صلى عليه ومن سلم عليه سلم عليه، وتدارسوا مع من حولكم حديثه ﷺ وأخلاقه، وسنته وسيرته، ليكون النبي حاضراً فينا وتكون سنته ماثلة بيننا.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56]

والحمد لله رب العالمين